



بر الوالدين

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أكبر الحقوق على المسلم وأوجبها حق الوالدين، ولهذا قرّنه سبحانه بحقه كما قال تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [النساء 36] ، بل أوصى جل جلاله بالإحسان إليهما وصحبتهما بالمعروف ولو كانا كافرين، ولكن لا يطيعهما في معصية الله والإشراك به كما قال سبحانه وتعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) لقمان [14 ، 15]، و كان من صفات أنبياء الله عليهم السلام التي مدحهم الله بها بر الوالدين كما قال عن يحيى - عليه السلام (وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) [مريم 14] ، وقال سبحانه وتعالى عن عيسى - عليه السلام (وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَفِيًّا) [مريم 32] ،

لقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة ترغب في بر الوالدين وتحذر من عقوقهما، فمن ذلك قوله تعالى (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء 23 ، 24] ، وقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) [العنكبوت 8] ، وقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) [الأحقاف 15] ،

كما وردت الأحاديث الكثيرة في فضل بر الوالدين وتحريم عقوقهما ومخالفة أمرهما حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل بر الوالدين مقدمًا على الجهاد في سبيل الله، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - : أي العمل أحب إلى الله؟ قال: " الصلاة على وقتها" ، فقلت: ثم أي؟ قال: " بر الوالدين" ، قلت: ثم أي؟ قال: " الجهاد في سبيل الله [البخاري ومسلم] ، ، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: أردت الغزو، وجنتك أستشيرك، فقال: "هل لك من أم؟"، قال: نعم، فقال: الزمها؛ فإن الجنة تحت رجلها ([النسائي] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: (من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخله الجنة) [البخاري]

و المقصود ببر الوالدين هو الإحسان إليهما بجميع وجوه الإحسان قولاً وفعلاً، الإحسان بالكلام الطيب وخفض الصوت، والصلة المستمرة، والإحسان بالخدمة وبذل المال وقضاء الحوائج، والرفق بهما بمراعاة المشاعر وجبر الخواطر، والبحث عن رضاهما وتحصيل ما يحبانه. و اعلم أن برك بوالديك وطاعتك لهما عنوان رجولتك ودليل مروءتك وسبب سعادتك في الدارين فوالداك هما سبب وجودك، وأرحم الناس بك، وأقرب الناس إليك، يشقيان في هذه الحياة لتسعد، ويتعبان لتستريح، ويجوعان لتتسبع، يعطيانك من غير منٍّ ولا أذى ، حملتك أمك في بطنها تسعة



أشهر، ولاقت الشدائد في حملك ووضعك ثم صبرت على أذاك ومرضك حال صغرك ، وهكذا أبوك فقد رباك وأنفق عليك وتعب في رعايتك صبياً ومراهقاً، قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن لي أماً بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حوائجها إلا وظهري لها مطية، فهل أديت حقها؟ قال: لا. لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي سعيدة وتتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها، ولكنك محسن، والله يثيب الكثير على القليل)

إن بر الوالدين دين يجب وفاءه على الإنسان، وكما تدين تدان، وإن من ثمراته العاجلة أن يجد الإنسان ثمرة ذلك في أولاده فيبره أولاده ويحسنوا إليه كما برّ والديه وأحسن إليهما، وهذا أمرٌ مشاهد، وإياك إياك أن تقدم مصلحتك الشخصية أو رغباتِ أصدقائك، أو هوى زوجتك على رضا والديك، فإنهما أحقُّ الناس بحسن صحبتك، فقد جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك". [متفق عليه] ، واحذر ممن يأمرك بعصيان والديك أو يهؤن حقهما في نفسك أو يجزئك على التقصير في حقهما أو يصور لك أنهما شيخان كبيران لا يفهمان ولا يقدّران الأمور، ولا يعرفان مستجدات الحياة! فمثل هذا الشخص لا خير فيه ولا في صحبته. قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: " لا تصحب عاقاً لوالديه؛ فإنه لن يبرك وقد عق والديه".

إن من الخطأ أن ينشغل الإنسان عن رعاية والديه مهما كان الظروف فإن طاعتها وحسن رعايتهما واجب ومقدم على فعل نوافل العبادة، ومن الناس من يأتي لوالديه بخادم أو سائق ويظن أنه قام بالواجب وبرئت ذمته بذلك فلا يزورهما إلا قليلاً، وهذا خطأ فإن البر لا يُفوّض ولا يباع ويشترى، مهما بلغ هذا الخادم لن يكون مثل الولد، يكفي أن الوالدين يأمنان بأمن أولادهم وقربهم، ويفرحان بزيارتهم، ويطمئنان إليهم أكثر من غيرهم . نعم من الجيد أن تجلب لهم خادماً يساعدهما ولكن لا ننسى أنهما كذلك يحتاجان لوجودنا في حياتهم

فاتقوا الله ولا تفرطوا في هذا الباب العظيم من أبواب الخير والجنة، ولا تستكثروا ما تبدلونه لوالديكم من خدمة ورعاية ولا تمنوا عليهما ، فعقوق الوالدين من كبائر الذنوب كما قال صلى الله عليه وسلم: الْكَبَائِرُ: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْعَمُوسُ " [متفق عليه] فاحرص اخي الكريم على الإحسان إليهما ولو تعارض بر الأب والأم وخصوصاً إذا كان بينهما عداوة من طلاق ونحوه، فينبغي على الإنسان أن يقوم بحقهما معاً على قدر استطاعته وأن يحرص على التوفيق بينهما ولا يعادي أحدهما لإرضاء الآخر، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من القائمين بهذا الحق العظيم، وأن يدخلنا الجنة من هذا الباب العظيم.

كتبه فضيلة الشيخ صباح محمود حسن مبعوث وزارة الأوقاف المصرية - أوروغويانا- البرازيل